MERS
MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN_NAHAR
Date : 29_5_98
Photo No. : 253

هل من ينصت الى رسالته ؟

بقلم سمير قصير

لو كتب للجنرال هنري - اوجين غورو ان يطل من آخرته ليسمع الخطاب الذي سيلقيه غدا الرئيس الفرنسي جاك شيراك في قصر الصنوبر، لكان بالتأكيد استغفر الله وسارع في العودة الى دنيا النسيان. ففرنسا التي كان سيراها متمثلة في شخص شيراك ليست قطعا فرنسا التي أراد تجسيدها هو في زمنه. ولبنان الذي كان سيشاهده مستضيفا رمز الجمهورية الفرنسية ليس لبنان الذي تصوره هو عندما أعلن ولادته في اول ايلول ١٩٢٠.

هل من الضروري ان نضيف: لحسن الحظ، وفي الحالين؟ فمن حظنا ان تكون فرنسا قد بارحت موقع الوصي لتستقر في دور الصديق. ومن حظنا ايضا ان يكون لبنان قد تغلب على الاعوجاج الذي أسسته عليه فرنسا غورو، وان تكن تخالط هذا الحظ خشية مشروعة من اعوجاج جديد ومعكوس هذه المرة.

عن هذا الحظ التاريخي سيتكلم شيراك غدا وان لم يفصح. لن يدين طبعا اسلافه ولعله سيؤكد اعتزازه بكامل الارث الفرنسي في لبنان، بصالحه وطالحه، فهذا ما تقتضيه قاعدة استمرارية الدولة، وان اخطأت، في جمهورية عريقة مثل فرنسا. كما انه قد يفضل المرور بسرعة على التاريخ ليركز رسالته على الشؤون الراهنة، من القرار ٤٢٥ الى التعاون الاقتصادي ومصير الفرنكوفونية، وخصوصا انه ليس معروفا بنفحته الادبية او رؤيته التاريخية. الا ان وقع المكان سيعطي كلامه بالضرورة رحابة تستأهل ان ننسى لحظة الانتخابات البلدية من اجل ان ننتبه الى ما تنبئنا عنه.

ما الذي سيقوله شيراك؟ لا ندري طبعا وليس هذا المهم. فالاساس غدا هو في ما سيعنيه القاء شيراك خطابا - أيا يكن - في المكان الذي اعلنت فيه دولة لبنان الكبير. وما سيعنيه هذا الحدث لا يندرج فقط في اطار تحول السياسة الفرنسية حيال لبنان وانما يلقي الضوء على صيرورة هذا البلد. فعندما يعلن الرئيس الفرنسي، كما سبق ان فعل واسوة بجميع أسلافه منذ الجنرال ديغول، ان "الأم الحنون" لقطاع من اللبنانيين أضحت صديقة الشعب اللبناني بكل فئاته، فهذا يعني انها تساهم في تصحيح خلل طبع تاريخ الجمهورية الاولى. وعندما يدعو من اعتدوا يوماً بـ"الأم الحنون" الى الانخراط مجددا في الحياة العامة بعد طول احباط، فهذا يعني ان فرنسا تسعى ايضا الى تصحيح الخلل الذي يطبع مسيرة الجمهورية الثانية. وعندما يوحي بأن فرنسا تريد ان ترعى خصوصية لبنان دون ان تكون خصما لسوريا فيه، فهذا يعني انها تصر على بعث اتفاق الطائف الى الحياة، وان تكن تبدو احيانا كأنها قبلت بتحريفه المستمر.

لن يجد شيراك من يعترض على هذه الفلسفة للعلاقات اللبنانية - الفرنسية، وهي ايضا فلسفة لمصير لبنان. لكن المشكلة انه قد لا يجد ايضا من يصغي الى هذه الفلسفة. اولاً لان كل انتباه ابناء "الوطن الصغير" مشدود الى الانتخابات البلدية، مما يدعو الى التساؤل حول جدوى خرق تقليد ثابت يقضي بألا تتزامن زيارة رسمية مع عملية اقتراع شعبي (مع العلم ان موعد الزيارة تقرر قبل موعد البلديات المؤجل اكثر من مرة). وثانيا لأن الافراط في شخصنة العلاقات بين لبنان وفرنسا، وهو الامر الذي يتحمل مسؤوليته الطرفان، يحجب ثوابت السياسة الفرنسية.

لا يعقل طبعاً ان نطلب من الرئيس شيراك تدخلا مباشرا في الشؤون اللبنانية يعيد فرنسا الى موقع الوصي. لكن دور الصديق يتطلب منه في المقابل شيئا من الحذر حتى لا يصبح ما قد يعتبره البعض تهاونا مع السلطة القائمة تدخلا من نوع آخر.

سمير قصير